محاضرات
مادة الاعجاز القرآني

اعداد
الاستاذ الدكتور
جبار عبد الوهاب الدليمي

المرحلة الرابعة
قسم علوم القرآن

كلية التربية للعلوم الانسانية

المبحث الأول

المعجزة

تمهيد:

لم يرد في القرآن الكريم ولا في السنة المطهرة مصطلح المعجزة، وإنما ظهر هذا المصطلح في وقت متأخر بعض الشيء عندما دوّنت العلوم ومنها علوم العقائد، في أواخر القرن الثاني الهجري وبداية الثالث، لذا نجد أن القرآن الكريم قد استعمل كلمة (الآية) في صدد إعطاء الدلائل للرسل عليهم الصلاة والسلام لمحاجّة الأقوام، يقول تعالىٰ: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ [الأنعام: ١٠٩].

كما استعمل القرآن الكريم تارة لفظة (البيّنة) كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً ۖ﴾ [الأعراف: ٧٣]، والبينة هي الدلالة الواضحة عقلية كانت أو حسية.

وتارة يستخدم القرآن الكريم لفظة (البرهان)، يقول تعالىٰ: ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [القصص: ٣٢]. والبرهان بيان للحجة وهو أوكد الأدلة ويقتضي الصدق لا محالة[1].

كما يأتي التعبير عن المعجزة أحياناً بالسلطان، قال تعالىٰ: ﴿تُرِيدُونَ أَ

---

(١) انظر مفردات الراغب ص: ٤٥.

تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ [إبراهيم: ١٠] ولعل اختيارهم لهذا المصطلح بدلاً من (الآية) والكلمات الأخرىٰ لإزالة الدلالة المشتركة في الآية من القرآن الكريم[١] كما في قوله تعالىٰ: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ [البقرة: ١٠٦]، وبين الآية بمعنىٰ العلامة البارزة الدالة علىٰ وجود الخالق سبحانه وتعالىٰ ووحدانيته كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠]، وبين الآية بمعنىٰ البناء العالي كما في قوله تعالىٰ: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الشعراء: ١٢٨]، وكذلك الخروج من الدلالات المشتركة في الكلمات الأخرىٰ.

تعريف المعجزة:

في اللغة: من أعجز وعجز وهو ما يقابل القدرة، والهاء فيها للمبالغة. في لسان العرب في مادة عجز: العجز نقيض الحزم، والعجز: الضعف، وعجز[٢] عن الأمر إذا قصر عنه. وفي القرآن الكريم: ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْا فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾ [سبأ: ٥]، قال الزجاج: معناه ظانين أنهم يعجزوننا، لأنهم ظنوا أنهم لا يبعثون وأنه لا جنة ولا نار وقيل معناها معاندين، وهو راجع إلىٰ الأول ومعنىٰ الإعجاز الفوت والسبق، يقال أعجزني فلان أي فاتني.

وعرف العلماء المعجزة بقولهم: أمر خارق للعادة مقرون بالتحدّي سالم من المعارضة يظهره الله علىٰ يد رسله[٣].

فالمعجزة أمر خارق للسنة التي أودعها الله سبحانه وتعالىٰ في الكون

---

(١) ويعرفها العلماء قطعة من القرآن الكريم لها بداية ونهاية مُنْدَرجة في سورة.

(٢) لسان العرب بتصرف واختصار ٣٦٩/٥. وفي المعجم الوسيط: عجز عن الشيء ضعف ولم يقدر عليه ٥٨٥/٢.

(٣) انظر التعريف المذكور في «الإتقان في علوم القرآن» للسيوطي: ٣/٤، وقريباً منه في «مناهل العرفان» للزرقاني: ٦٦/١.

ولا تخضع للأسباب والمسببات ولا يمكن لأحد أن يصل إليها عن طريق الجهد الشخصي والكسب الذاتي وإنما هي هبة من الله سبحانه وتعالىٰ يختار نوعها وزمانها ليبرهن بها علىٰ صدق رسول الله الذي أكرمه بالرسالة.

* والسحر والأعمال الدقيقة التي يمارسها بعض أهل الرياضات البدنية أو الروحية لا يدخل تحت اسم الخارق لأن لكل من تلك الأمور أساليب ووسائل يمكن لأي إنسان أن يتعلمها ويتقنها ويمارسها، فإذا اتبع الأسباب والأساليب المؤدية إلىٰ نتائجها أمكنه بواسطة الجهد الشخصي والمران والممارسة أن يتوصل إلىٰ تلك النتائج.

أما الأمور الخارقة فلا تدخل تحت طاقة البشر، ليست لها أسباب تؤدي إليها.

شروط المعجزة:

ومن خلال التعريف السابق للمعجزة نستطيع أن نتلمس شروطها:

١ـ أن تكون من الأمور الخارقة للعادة: سواء كان هذا الأمر الخارق من قبيل الأقوال: كتسبيح الحصىٰ وحنين الجذع ومثل القرآن الكريم، أو يكون من قبيل الفعل كانفجار الماء من بين أصابع الرسول ﷺ وتكثير الطعام القليل وكفايته للجمع الكثير أو من قبيل الترك: مثل عدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام وعدم إغراق الماء لموسىٰ وقومه وعدم سيلانه عليهم.

أما إذا كان الأمر من الأمور الاعتيادية للناس ومع ذلك لم يستطع الناس الإتيان بها يكون (المانع) هو الأمر الخارق وليس هذا الأمر المعتاد، فلو قال: معجزتي عدم استطاعتكم وضع أيديكم علىٰ رؤوسكم فلم يستطيعوا بالفعل لكان هذا المنع في هذه اللحظة هي المعجزة، وليس عملية وضع الأيدي.

٢ـ أن يكون الخارق من صنع الله وإنجازه يقول تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ

وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ [غافر: ٧٨].

فالمعجزة هبة من الله سبحانه وتعالىٰ لا يستطيع أحد أن يعيّن زمانها ونوعها: ﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٠٩].

٣ـ سلامتها من المعارضة: فلو استطاع الخصم أن يأتي بمثل ما جاء به النبي بطلت حجته ولم يسلم له ادعاؤه أن هذه الخارقة أو هذا الأمر دليل علىٰ صدقه وأمارة علىٰ بعثه من قِبَل الله سبحانه وتعالىٰ.

٤ـ أن تقع علىٰ مقتضىٰ قول من يدّعيها (وقوعها علىٰ مقتضىٰ الدعوىٰ).

يشترط في المعجزة أن تكون موافقة لقول مُدّعيها غير مخالفة له سواء كان هذا الأمر مطابقاً لطلب المعاندين أو مخالفاً له، لأن الرسول يبلّغ عن أمر ربه في تحديد نوع المعجزة وزمانها ولا دخل له في هذا التعيين، فإذا جاءت المعجزة علىٰ وجه غير الوجه الذي عيّنه الرسول لم تكن دليلاً علىٰ صدقه، بل تثير عندئذٍ الشكوك حول ادعائه. ومن هذا القبيل ما وقع لبعضهم مما يطلق عليه العلماء (اسم الإهانة)؛ فإذا مسح علىٰ المريض ليشفىٰ فمات، أو بصق في البئر لتكثير مائه فغار كما ذكرت بعض الروايات في شأن مسيلمة الكذاب، فلا تكون معجزة إنما هي إهانة له ودليل علىٰ كذبه.

٥ـ التحدّي بها: وهذا شرط أساس في المعجزة لإثبات عجز الجاحدين وإقامة الحجة عليهم فإن عدم التحدّي لمعجزة لا يبرزها كدليل وبرهان، لكي لا يقول قائل فيما بعد: إنه لو تُحدّي بالمعجزة القوم لتمكّنوا من الإتيان بها.

* والتحدّي يكون بالقول الصريح بأن يقول الرسول: دليل صدقي وصحة ما جئت به هو عجزكم عن الإتيان بمثل هذا الأمر الذي أفعله.

وهذا هو الغالب في معجزات الرسل عليهم الصلاة والسلام، ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [آل عمران: ٤٩].

* كما يكون التحدّي (بالقوة) حيث لا يكون هنالك تحدٌ ظاهر لأن المقام لا يستدعيه ولكن لو وُجد تحدٌ لأفحم المتحدَّىٰ به، ومن هذا القبيل الخوارق التي وقعت علىٰ يد رسول الله ﷺ وهو بين أصحابه وهم مؤمنون به، فمثلاً نبع الماء بين أصابع رسول الله ﷺ لم يكن في مضمار تحدٍ لإثبات رسالة، ومثل ذلك تسبيح الحصىٰ في يده، وحنين الجذع إليه فقد وقعت هذه الخوارق في جو إيماني وفي مجتمع إسلاميّ.

وقد فرّق بعض العلماء بين الخارقة التي يتحدّىٰ بها الرسول القوم ويجعلها آية صدقه وبرهان صحة رسالته، وبين الخارقة التي لا تقترن بالتحدّي وتقع بين المؤمنين برسالة الرسول؛ فأطلقوا علىٰ النوع الأول اسم (المعجزات)، وأطلقوا علىٰ النوع الثاني اسم (دلائل النبوة).

يقول ابن حجر في فتح الباري في شرح (باب علامات النبوة):

* العلامات جمع علامة وعبّر عنها المصنف لكون ما يورده من ذلك أعم من المعجزة والكرامة، والفرق بينها أن المعجزة أخص، لأنه يُشترط فيها أن يتحدَّىٰ النبي من يكذبه.

٦ـ أن يستشهد بها مدّعي الرسالة علىٰ الله عزَّ وجلَّ: أي يجعلها الرسول دليل صدق رسالته لإثباتها وينسب هذا الأمر إلىٰ الله عزَّ وجلَّ فيقول مثلاً: آيتي أن يقلب الله سبحانه وتعالىٰ هذه العصا ثعباناً، أو أن يحيي الله سبحانه وتعالىٰ هذا الميت عند قولي له (قم).

٧ـ تأخر الأمر المعجز عن دعوىٰ الرسالة: لأنه بمثابة الشاهد، ولا